

تقديم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رب العالمين، والصلوة والسلام على أشرف المسلمين، وخيرة النبيين
أبي القاسم المصطفى الأمين محمدٌ وآلـه الطيبين الطاهرين، وصحبهـ المتوجـين.
أما بعد... فيسر مركز العـلـامة الحـلـيـ لإـحـيـاء حـوـزـةـ الـحـلـةـ الـعـلـمـيـةـ وـعـمـارـةـ
مشـاهـدـهاـ أـنـ يـقـدـمـ لـلـقـارـئـ الـكـرـيمـ كـتـابـ (ـالـطـبـيـعـيـاتـ عـنـ الـعـلـامـةـ اـبـنـ الـمـطـهـرـ
الـحـلـيـ)ـ (ـتـ ٧٢٦ـ هـ)،ـ آـمـلـيـنـ الـكـشـفـ عـنـ جـانـبـ مـنـ الـمـنـزلـةـ الـرـفـيـعـةـ الـتـيـ بـلـغـهـاـ
الـعـلـامـةـ الـحـلـيـ فـيـ رـيـادـةـ الـحـوـزـةـ الـعـلـمـيـةـ فـيـ الـحـلـةـ،ـ وـأـثـرـهـ فـيـ صـيـاغـةـ الـمـنهـجـ التـوـفـيقـيـ
الـطـارـئـ عـلـىـ الـحـرـكـةـ الـعـلـمـيـةـ،ـ وـهـوـ جـمـعـ بـيـنـ الـفـلـسـفـةـ وـعـلـمـ الـكـلـامـ فـيـ صـيـاغـةـ
الـأـدـلـةـ الـبـرـهـانـيـةـ وـالـمـلـازـمـاتـ الـعـقـلـيـةـ،ـ وـبـيـانـ بـعـضـ آـرـائـهـ الـدـقـيقـةـ فـيـ الـمـسـائـلـ
الـطـبـيـعـيـةـ الـتـيـ تـتوـافـقـ مـعـ مـعـطـيـاتـ الـعـلـومـ الـحـدـيـثـةـ،ـ وـسـبـقـهـ فـيـ خـلـصـ إـلـيـهـ،ـ
وـلـاسـيـمـاـ رـؤـيـتـهـ لـطـبـيـعـةـ الـأـجـسـامـ،ـ وـمـاهـيـةـ الـزـمـانـ وـالـحـرـكـةـ وـالـجـاذـبـيـةـ وـغـيرـ ذـلـكـ.
إـنـ إـحـسـاسـنـاـ بـخـدـمـةـ الـتـرـاثـ الـعـلـمـيـ الـإـسـلـامـيـ عـامـةـ،ـ وـالـتـرـاثـ الـعـلـمـيـ الـحـلـيـ
خـاصـةـ يـدـعـونـاـ إـلـىـ اـنـتـقـاءـ هـذـاـ الـعـلـمـ؛ـ لـيـكـونـ مـحـطـ اـهـتـمـاـنـاـ وـمـحـزـ بـحـثـنـاـ،ـ وـاقـتـناـصـ
آـرـائـهـ فـيـ الـعـلـمـ الـطـبـيـعـيـ لـيـصـيرـ الـرـتـاجـ الـوـسـيـعـ الـذـيـ نـفـدـ مـنـ خـالـلـهـ لـلـوـقـوفـ

على مكنون أسراره، وعميق أغواره، ولاسيما أنَّ تراثنا كان وما يزال بحاجة إلى الأيدي الأمينة التي تكشف النقاب عن شخصيات نحسب أنها لم تحظِ بمرقةٍ عند الباحثين والدارسين، ومن أجل تبصرة القراء بالمسار الإبداعي، والمسارب المعرفية المتنوعة التي سطَّرها العلَّامة الحليُّ في العلوم الطبيعية ولاسيما في المنطق والفلسفة والكلام.

وما يسترعي الانتباه في هذا المجال أنَّ نصوص العلَّامة الحليُّ التي اشتملت بها هذه الدراسة تُعدُّ من النصوص القديمة، ومظهراً من مظاهر التميُّز يستحق الإشادة به والتنويه عليه؛ مما يجعل هذه الدراسة جديدة في بابها.

إنَّ هذا الكتاب جاء تلبية للدعوة إلى لزوم إعادة قراءة التراث بوسائل منهجية حديثة، من أجل استنباط الأسس المعرفية المتنوعة واستكناها التي بُني عليها الفكر الموروث، ومن ثَمَّ الإسهام الجادُ والمشرِّم في تفعيل التراث في الدراسات الحديثة.

وفي هذا المقام لا يسعنا إلَّا أن نتقدم بواهر الشكر والامتنان للأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدَّسة، ولاسيما الشيخ عبد المهيدي الكربلائي؛ لما يقوم به سماحته من أعمالٍ جليلةٍ ومهامٍ كبيرة فجزاه الله (جلَّ جلاله) خير جراء المحسنين، وكذلك سماحة الأمين العام السيد جعفر الموسوي وكل من له يد في خدمة تراثنا الإسلامي الرصين، وآخر دعوانا أنَّ الحمدُ لله ربُّ العالمين.

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الواحد الأحد، بلا نسبة كم وعدد، الأول بلا بداية أمد، والآخر بلا تعين بعْد، واجب الوجود، وواهب وجود كل موجود، لا يوصف بكيف، ولا يُسأل عنه بأين، لا يتغير بمتى الزمان، ولا يضرب له بحثٌ آن، متنزه عَمِّا يوجب الأجزاء والأبعاض، ولا يجري عليه الوصف بعرض من الأعراض، إذ لا تناله تجزأة الأجسام، ولا بالحدود والحركات تقدره الأوهام، علا وسما بلا توهם مسافة، وقرب ودنا بلا تصور مماسة، دل حدوث خلقه على قدمه، وفناء كونه على أبديته، ما خلق شيئاً من أصل أزلي، ولا أوجد ممكناً من قديم أبدي، خالق لا بمعنى الحركة والسكن، وإنما أمره أن يقول كن فيكون، فتبارك الله أحسن الخالقين، وصلى الله على محمد سيد المرسلين وآلـهـ المطهـرـينـ.

أسباب الدراسة :

إن كمال المعرفة إنما يتم عن طريق العلوم العقلية الكلية، والبراهين القطعية؛ بغية الوصول إلى الحقائق اليقينية، وأشرف هذه العلوم ما يرتبط بشرف المعلوم،

ومن المعروف أن العلّامة ابن المطّهر الحلي يُعد عند أرباب هذا الفن من المعرفة من عيون أعلامه، وفرسان ميدانه، والسابقين إلى غaitه، إلّا أن هذه المنزلة لم تكن بذاك الظهور على المستوى الأكاديمي؛ لأسباب ليست خافية على ذوي الألباب؛ فكان ذلك سبباً ثانياً لإعداد دراسة مستقلة عن آرائه فيه.

وفي أثناء تحقيقه لبعض متون ابن المطّهر في الطبيعتين، وجدت له كثيراً من النكبات الدقيقة، والأراء السديدة التي تتوافق مع نتائج العلم الحديث، مع سبقه في بعض القضايا، ولا سيما في ما يتعلق بمفهوم الحركة وحقيقةها، وقوله بالحركة الجوهرية وفي بقية المقولات، ورؤيته لما هي الزمان، والآن، والمكان، والخلاء، وحقيقة الميل، وغير ذلك، مما يدعوه إلى الكشف عنها وبيانها، ولا سيما مع عدم الالتفات إليها أو الإشارة إليها من قبل أهل الاختصاص، وهذا ثالث الأسباب.

والسبب الرابع هو مصادفة مرور الذكرى السبعمة لوفاة العلّامة قبل بضع سنين، فإحياءً لذكراه الطيبة، وتذكيرًا منا بفضله قمنا بهذا الجهد المتواضع الذي نأمل أن نوفق فيه.

أمّا السبب الخامس فهو قلة الدراسات المستقلة عن العلامة وأثاره في العلوم العقلية الكلية، وعدمها في العلم الطبيعي الذي هو موضوع دراستنا.

ابن المطهر في دراسات سابقة :

نعم، للدكتور مفید آل ياسين دراسة تاريخية بعنوان (العلامة الحليّ جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهر) قدمت لنيل شهادة الماجستير من جامعة بغداد، نشرتها كلية الآداب، ١٩٧١ م.

وللدكتورة زابينا اشميتكه الألمانية دراسة بعنوان (النظريات الكلامية للعلامة الحليّ)، صدرت في برلين عام ١٩٩١ م، وكانت بالأساس رسالة قدمت لنيل شهادة الدكتوراه من جامعة أكسفورد عام ١٩٩٠ م بعنوان (الأفكار الكلامية للعلامة الحليّ).

والدكتور باقر دراسة بعنوان (العلامة الحليّ وأراؤه الكلامية) قدمت لنيل شهادة الماجستير عام ١٩٩١ م.

وللسيد عبد العزيز الطباطبائي مؤلف بعنوان (مكتبة العلامة الحليّ) نشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ١٤١٦ هـ، أورد فيه مصنفاته وعددتها ١٢٠ مصنفاً، مع ذكر نسخ مخطوطاتها والمكتبات التي توجد فيها، وشروحاتها، وطبعات بعضها.

ولخider جيجان الزيادي دراسة بعنوان (منهج العلامة الحليّ في علم

الرجال) قدمت لنيل شهادة الماجستير من جامعة الكوفة - كلية الفقه، سنة ٢٠٠٦ م.

وللدكتور صالح مهدي هاشم مؤلف بعنوان (المشهد الفلسفی في القرن السابع الهجري - دراسة في فکر العلامة ابن المطہر الحلّي ورجال عصره) صدر عام ٢٠٠٦ م.

ولبلاسم عزيز شبيب دراسة بعنوان (الجهد الأصولي عند العلامة الحلّي - دراسة تطبيقية في الفقه) قدمت لنيل شهادة الماجستير من جامعة الكوفة - كلية الفقه، سنة ٢٠١٠، وطبعت سنة ٢٠١١.

وصالح مهدي صالح دراسة بعنوان (علم الكلام عند العلامة الحلّي - دراسة في الإلهيات)، قدمت لنيل شهادة الماجستير من الجامعة المستنصرية - كلية الآداب، سنة ٢٠١٢.

هذا ما تيسري - بعد بذل الوسع - العثور عليه من دراسات عن العلامة، ولعله فاتني شيء منها، ولكن الميسور لا يسقط بالمعسور. وفي ضوء الأسباب المتقدمة تكمن أهمية هذه الدراسة.

النتائج المتواخة:

نأمل من هذه الدراسة أن تكشف عن جانب من المنزلة العلمية الرفيعة التي بلغها العلامة ابن المطهر في العصر الوسيط، وأثره في صياغة المنهج التوفيقى

الطارئ على الحركة العلمية، وهو الجموع بين الفلسفة والكلام في صياغة الأدلة البرهانية والملازمات العقلية. وبيان بعض آرائه الدقيقة في المسائل الطبيعية التي تتوافق مع معطيات العلوم الحديثة، وسبقه فيما خلص إليه، ولا سيما رؤيته لطبيعة الأجسام - وماهية الزمان والحركة والجاذبية وغير ذلك، ونرجو أن نردد المكتبة العلمية بمفadها، ولا سيما على المستوى الأكاديمي.

منهج البحث:

أما المنهج الذي ستبنته في تقرير مطالب الدراسة فسيكون منهجاً مقارناً نعرض فيه - بعد تعين الموضوع - آراء الحكماء والمتكلمين المقررة في المقام^(١) على وجه التوفيق، ثم تحرير الإشكالات والاعتراضات الواردة فيه حلاً أو نقضاً أو إلزاماً، سواء أكانت للعلامة أم لغيره من تقدمه من الفلاسفة والمتكلمين - المتأمل فيها أو التي يتبعناها - وبيان رأيه فيها، وما يترتب عليها من نتائج. ولم

(١) وهذا لا يعني تمييز آراء الحكماء عن المتكلمين لعمق الخلاف فيما بينهم على وجه الإطلاق، بل قد نجد من المتكلمين من يتفق مع الفلسفة في مسألة ما، وخلافه صحيح، فيجري تحرير المسائل على وجه التوفيق. وإلى هذا المعنى وأشار الدكتور حسام الآلوسي، إذ قال: «ليس هناك - وخصوصاً - بعد أن نضجت المباحث العقلية عند الكلاميين والفلسفه - فكر كلامي وأخر فلوفي أو ما يسمى كلام وفلسفة، نعم هناك مدارس فكرية، مدارس كلامية، وأخرى فلسفية، ولكن الوشائج قوية بين هذه المدارس والتفاعل بينها مستمر». الآلوسي، د. حسام الدين، حوار بين الفلسفة والمتكلمين، مطبعة الزهراء، بغداد، ١٩٦٧م، ص ١٠.

ولا يخفى ما في ذلك من إمكان تحقق أكبر قدر ممكن من مزايا المدرستين وتلافي كثير من المؤخذات عليها.

يكن هذا بداعاً منا ولكنه سبيل أول من خطا خطوة فيه فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، وسلكه نصير الدين الطوسي (ت ٦٧٢هـ)، وعبد العلامة الحلي - بعد أن رسم معالمه وجعله منهجاً متكاماً - كما هو المستفاد من كلمات أهل الفن، ومن طريقة عرضهم لآرائهم المحررة في مصنفاتهم.

وأود أن أشير إلى أن مهمتي الأولى في هذا البحث بيان رأي العلامة تحديداً، التزاماً منا بعنوان الدراسة، وذلك في ضوء البحث والتنقيب عن آرائه وما يذهب إليه في بطون مصنفاته، ومقارنتها مع آراء غيره؛ لتحقيق أكبر قدر ممكن من الإحاطة بالمسائل المعروضة، والكشف عنها هو جديد أو ما لم يسبق إليه، ومن ثم تحريرها وتبويتها بما يناسب خطة البحث، فضلاً عن الفائدة المتواخة من الجنبة العلمية، فهو الأهم.

ولست في مقام إعادة صياغة العبارات أو التحسية، فهذا يعد من قبيل العيُّ والحسو الزائد عند أهل التحقيق، إلّا بما يتقتضيه المقام في بيان بعض النكات والتقريرات؛ لأنَّ الموضوع اختصاصي كما لا يخفى.

وهي مهمة ليست باليسيرة، بل كانت مضنية حقاً؛ لدقة تقريراته وصعوبة التمييز بين بوادر أفكاره وتقرير أفكار غيره من تقدمه، ولا سيما مع عدم الإشارة إلى ذلك، فضلاً عن كثرة مصنفاته التي ينبغي الرجوع إليها؛ بغية تحقق أكبر قدر ممكن من الشمولية في الاطلاع على آرائه ومتبنياته.